

قصة حبيب بن جمار

قال الشيخ المفيد: ومما رواه الحسن بن محبوب، عن ثابت الشمالي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن سويد بن غفلة أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين! إنني مررت بوادي القرى فرأيتُ خالد بن عُرْفُطَةَ قد مات بها.^(١) فاستغفر له. فقال عليه السلام: **«إنه لم يمت، ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن جمار».**^(٢)

فقام إليه رجل من تحت المنبر، فقال: يا أمير المؤمنين، والله إنني لك شيعة، وإنني لك محبٌ. قال الإمام: ومن أنت؟ قال: أنا حبيبُ بن جمار. قال: **«إياك أن تحمّلها، وتحمّلنها فتدخل بها من هذا الباب - وأو ما بيده إلى باب الفيل»** (أحد أبواب مسجد الكوفة).-

فلما مضى أمير المؤمنين عليه السلام، ومضى [الإمام] الحسن عليه السلام بعده، وكان من أمر [الإمام] الحسين عليه السلام ومن ظهوره ما كان، بعث ابن زياد بعمر بن سعد إلى

(١) ذكر ابن حجر العسقلاني الشافعي ترجمته في كتابه: «الإصابة» ج ١، ص ٤٠٩ وقال: عُرْفُطَةُ بضم العين المهملة والفاء بينهما راء ساكنة. قال عمرو بن شبة في «أخبار مكة»: «قدم خالد بن عرفطة مكة صغيراً فحالف بني زهرة... ولأه سعد بن أبي وقاص يوم القادسية. وكان معه في فتوح العراق. وكتب إليه عمر يأمره أن يؤمره، واستخلفه سعد على الكوفة. ولما بايع الناس معاوية، ودخل معاوية الكوفة، خرج عليه عبد الله بن أبي الحوساء بالنخيلة. فوجه إليه معاوية خالداً هذا فحاربه حتى قتله. وعاش خالد إلى سنة ٦٠ أو ٦١. وذكر ابن المعلم المعروف بالشيخ المفيد الرافضي في «مناقب علي» من طريق ثابت الشمالي، عن أبي إسحاق، عن سويد بن غفلة أن رجلاً جاء إلى علي فقال: إنني مررت بوادي القرى فرأيت خالد بن عرفطة قد مات بها، فاستغفر له. فقال علي: إنه لم يمت». ونقل ابن حجر هنا قصة خالد بن عرفطة وحبيب بن جمار كلها بهذه الألفاظ. وهي التي نقلناها في المتن عن «الإرشاد» للشيخ المفيد.

(٢) لم نعرش في معاجم الرجال على شخص باسم حبيب بن جمار، واسم أبيه جمار بالجيم المعجمة. وعند ما ذكر صاحب «الإصابة» ترجمة خالد بن عرفطة، نقل اسم حبيب عن الشيخ المفيد على أنه حبيب بن حمار بالحاء المهملة. بيد أن مؤلف «الإصابة» نفسه ضبطه مع حبيب بن حماد الأسدي بالحاء والدال المشددة وقال في كتابه المذكور، ج ١، ص ٣٠٥: من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله. شهد معه الأسفار. ونقل عنه حديثاً. ولما قال صاحب «الإصابة»: وله ذكر في ترجمة خالد بن عرفطة يأتي، فيستبين أن صاحب راية خالد كان حبيب بن حماد نفسه.

الحسين عليه السلام، وجعل خالد بن عُرفطة على مقدمته، وحبیب بن جمار صاحب رايته. فسار بها [خالد] حتى دخل المسجد من باب الفيل.

وهذا أيضاً خبر مستفيض لا يتناكره أهل العلم والرواة للآثار. وهو منتشر في أهل الكوفة، ظاهر في جماعتهم لا يتناكره منهم اثنان. وهو من المعجز الذي ذكرناه.^(١)

ورواه بهذا المضمون ابن شهر آشوب في مناقبه عن أبي الفرج الإصفهاني في «أخبار الحسن»،^(٢) وأيضاً رواه المجلسي في «بحار الأنوار» عن الأعمش، وابن محبوب عن الثمالي والسبيعي، وكلهم عن سويد بن غفلة، وكذلك رواه أبو الفرج الإصفهاني في «أخبار الحسن».^(٣)

و رواه المجلسي أيضاً في «بحار الأنوار» بمضمون آخر عن «الاختصاص» للشيخ المفيد، و«بصائر الدرجات» للصفار، فقد روى عن هذين العالمين الجليلين، عن عبدالله بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبي حمزة، عن سويد بن غفلة أنه قال:

أنا عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ أتاه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين! جئتك من وادي القرى، وقد مات خالد بن عرفطة.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنه لم يمّت»**. فأعادها عليه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«لم يمّت، والذي نفسي بيده لا يموت»**. فأعادها عليه الثالثة. وأجابه الإمام نفس الجواب.

فقال الرجل: سبحان الله! أخبرك أنه مات وتقول: لم يمّت. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«والذي نفسي بيده لا يموت حتى يقود جيش ضلالة يحمل رايته حبیب بن جمار»**. فسمع بذلك حبیب، فأتاه، فقال له: أناشدك فيّ وإني لك شيعة، وقد ذكرتني بأمر، لا والله ما أعرفه من نفسي. فقال له: **«إن كنت حبیب بن جمار لتحملنّها»**. فولّى حبیب.

(١) «الإرشاد»، ص ١٢٨.

(٢) «مناقب آل أبي طالب» ج ١، ص ٤٢٧، الطبعة الحجرية.

(٣) «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٥٨٥، طبعة الكمباني. أقول: وذكره السيّد ابن طاووس في «الملاحم والفتن» ص ٩٢، طبعة النجف، المطبعة الحيدرية.

وقال الإمام مرة أخرى: «**إِنْ كُنْتَ حَبِيبَ بَنِ جَمَارٍ لَتَحْمِلَنَّهَا**».

قال أبو حمزة الثماليّ راوي هذا الخبر عن سويد بن غفلة: والله ما مات حتّى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن عليّ عليه السلام، وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته، وحبّيب صاحب رأيته.

وقال المجلسي بعد بيان هذا الخبر: رواه ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» عن كتاب «الغارات» لابن هلال الثقفى، عن ابن محبوب، عن الثماليّ، عن سويد بن غفلة.^(١)

ومن هنا نفهم ما ورد في السير والتواريخ والأحاديث من أنّ قتالي سيّد الشهداء عليه السلام كانوا من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام الكوفيّين كحجّار بن أبجر، وشبّث بن ربعي، ومحمّد بن الأشعث، وغيرهم. وكان كلّ منهم يقود أربعة آلاف جندي. وتحركوا بجيشهم البالغ ثلاثين ألفاً لحرب الحسين صلوات الله عليه، وعبأوا أنفسهم من أجل حطام الدنيا، وجوائز يزيد، وابن زياد، ورياسة مؤقتة زائلة في مصر من الأمصار، وأمثال ذلك. وأراقوا دم بضعة المصطفى في صحراء كربلاء ظالمين له، وناهضين بوجه الحقّ والتوحيد والعدالة. وأعمتهم زخارف الدنيا الخداعة وطبعت على سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم حتّى نسوا جميع الخطب التي خطبها إمام المتّقين وسيّد الأولين والآخرين أمير المؤمنين عليه السلام، وإخباره بالغائبات، وجهاده لله ودينه. حقّاً حُبُّ الشّيءِ يُعمي ويُصمُّ. فمن أحبّ شيئاً، فإنّ عينه تعمى عن رؤية غيره، وأذنه تصمّ عن سماع سواه، ولا يعد يدرك إلاّ مطلوبه ومقصوده، ويختم بيده على قلبه وبصيرته، ويحبس نفسه في غار الشيطان المظلم الدامس، ومطمورة الجنّ، وهوى النفس الأمّارة.

ولعلّ حبّيب بن جمار الذي جاء عند أمير المؤمنين عليه السلام كان يومئذٍ صادقاً فيما ادّعاه من تشييعه، ولم يدُر في خلده، ولم يجُل في ظنّه أنّه سيحمل يوماً على كتفه راية يزيد وعمر بن سعد. بيد أنّ الربّ الحكيم يفتن الناس ويبتليهم حتى تظهر بواطنهم،

(١) «بحار الأنوار» طبعة كمباني، ج ٩، ص ٥٧٨ و٥٧٩، طبعة الكمباني؛ وذكره ابن أبي الحديد في شرحه على النهج طبعة مصر، دار الإحياء، ج ٢، ص ٢٨٦ و٢٨٧ عن أبي هلال الثقفى في كتاب «الغارات» عن الحسن بن محبوب، عن ثابت الثماليّ، عن سويد بن غفلة.

وتنكشف خفيّاتهم وما يخبّون في سويداء قلوبهم، ممّا قد يعزب عنهم أنفسهم. وعندئذٍ يُساق إلى الجنّة من كان أهلاً لها، ويساق إلى جهنّم من كان أهلاً لها.

و كان البراء بن عازب من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أنصار أمير المؤمنين عليه السلام، وكان حيناً يوم استشهد أبو عبد الله الحسين عليه السلام بيده أنه لم يرفده ولم ينصره، فعاش متحسراً حتى مماته، ولكن هل يغني التحسّر شيئاً! وما على المؤمن إلا أن يكون بصيراً واعياً مغتنماً للفرصة في المواقف المطلوبة.

روى الشيخ المفيد، وابن شهر آشوب عن إسماعيل بن صبيح، عن يحيى بن المساور العابد، عن إسماعيل بن زياد أنّ عليّاً عليه السلام قال للبراء بن عازب يوماً: **«يَا بَرَاءُ! يُقْتَلُ ابْنِي الْحُسَيْنُ وَأَنْتَ حَيٌّ لَا تَنْصُرُهُ»**.

فلما قُتِلَ الحسين عليه السلام، كان البراء بن عازب يقول: صدق والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. قُتِلَ الحسين، ولم أنصره. ثمّ يظهر الحسرة على ذلك والندم.^(١)

[معرفة الإمام، ج ١٢، ص ٩٣]

(١) «الإرشاد» ص ١٨٣؛ و«المناقب» ج ١، ص ٤٢٧؛ وروى في «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٥٨٥، عن «المناقب».